

التربية والتعليم

تهديب البنات

كنا منذ مدة نقرأ في إحدى الجلات الفرنسية المصورة أن في فرنسا خمسة آلاف كاتبة وأديبة ما منهن إلا وقد ألغت كتاباً أو كتابين وخاضت عباب الأدب إلى الركب وقلبت القلم بيدها كل مقلب وما كدنا ننسى هذا الارتقاء الغريب ونتخلى لو كان لهذه البلاد جزء من مئة جزء منه فقط حتى وافتنا مجلة التعليم الدولية تحمل في صدرها بحثاً ضافياً لإحدى تكن الأديبات العلامات العقينة هيلانة مونيير أفاضت في وظائف المرأة الفرنسية وقصورها فقالت: من الأسف أن بعض النساء يذهبن إلى أكن لا يعنن عملاً نافعاً في اجتماع إلا إذا خرجن عما قدر لهن من الأعمال ودخلن في سنك أعمال الرجال وتعاطين الصنائع الحرة. يزيد كل سنة عدد الأديبات والعلامات ومتعاطيات الصنائع الحرة فنفقد من ما كان يرجى منهن أن يأتينه في الحياة الاجتماعية من المساعدة على تبديل حال البلاد أحسن مما هي عليه.

إن نساءنا لا يدركن في العادة معنى الحياة الاجتماعية ولا خطارها فيتخيلن أكن لا يقدرن على الاشتراك فيها إلا إذا دخلن غمار السياسة فأصبحن منتخبات ومنتخبات ونائبات ووزيرات وكان عليهن أن يتخلين عن هذه التصورات وينصرفن إلى حماية الأطفال وبذلك يخدمن جنسهن ويسهرون على مستقبله ويحددن يد معونتتهن للناسين وفي هذا حل للنسالة الاجتماعية.

ليس من الغريب أن أقول أن تهديب البنات من حيث الوجهة الاجتماعية هو أهم من تربية البنين وذلك لأن الشاب إذا خرج من المدرسة يستطيع إتمام دروسه بإعداد نفسه

للأعمال التي يتعاطاها ويقوي عقله بدروس التجارب التي تأتيه بها الحياة وعلى العكس في الفتاة إذا تعلت وأتمت دروسها وقد تكون من بنات العيلة أو من أهل اليسار فلا تعود تتعلم شيئاً إلى حين زواجها والغالب أن أسرتها وزوجها تتضرران من قلة اختيارها إذا انقطعت سلسلة تعلمها.

إن الدروس التي تلقتها في المدرسة تشبه الدروس التي يتعلمها الفتى ولكن ما يقضي عليها تعلمه أكثر من غيرها لم تتعلمه ونعني به كيفية إرضاع الطفل وحفظ صحة المولود فإذا رزقت ولداً لا تحسن تربيته لنقص في مواد تعليمها وإذا كانت موسرة فإنها لا ترضع ابنها في الغالب وكثيراً ما تخالف القانون الذي يقضي عليها بأن ترضع طفلها إلى الشهر السابع من عمره فتجلب له مرضعة عتق لبنها فتؤذيه لا محالة.

البنات عندنا يتعلمن في المدارس واجباتهن نحو آباتهن وأمهاتهن أسرهن ووطنهن ولكنهن لا يلقن أن أهم واجباتهن الأدبية أن يرضعن أولادهن ويربينهم ليقينهم من العوارض بتقوية أبدانهم وبذلك يخدم البلاد بأن يعطينها قوة أخرى زيادة على قوتها. فإن كان تهذيب الفتيات لا يعدهن عندنا إلى أن يشغلن في بيوتهن العمل الذي خلقن له فمن المتعذر أن يرجى أن يعين بغير آبائهن فإن ما جرى عند ما أريد إشراك النساء في حماية الأولاد يسجل بالأسف وكان على النساء أن يدركن أن محبة الوطن ليست بالأعمال الحماسية بل أن تنوب المرأة ولو ساعة واحدة من أم طفل طرحت أمه أو ماتت عنه. ولا أنكر أن ما جبل عليه قلب المرأة من الشفقة هو غريب وإخلاصها لا حد له.

ومن عني المربيات والمعلمات والتلميذات والفتيات والأمهات بالمسائل الاجتماعية الكبرى ومددن أيديهن للبذل في الأمور الخيرية العامة أو الخاصة وشاركن في الخيرات والمقومات نستطيع أن نقاوم جميع الأخطار التي تتهدد عنصرنا كالضعف من البؤس وكثرة موت الأطفال والسل والكحول.

برنامج التعليم عندنا غير ناقص ليزاد فيه مواد أخرى ولكنه يجب تخفيفه وحذف بعضه فإن العناية في مدارسنا متوفرة اليوم لتوسيع حواس بناتنا العقلية ولم تصرف لتحسين منكانهن الأخلاقية. نعم إن فلسفة الأخلاق هي أساس تعليمهن ولكن هذه الأخلاق هي بالنظريات أشبه منها بالعمليات وهي أرقى من أن تتغلب على ما يستولي على نفوس الفتيات في سني الدراسة الأولى من أنواع التعاليم فينبغي إشراب قلوبهن الشفقة فإن الشفقة كما قال أحد علماء الأخلاق من الألمان تزيد وتتضاعف.

يجب أن نعلم بناتنا أن كل فلسفة تؤدي إلى إنكار فعل الخير فلسفة كاذبة خطيرة وإن تطبعهن على حب المرحمة. الرحمة مخصصة الرباع وبها تقوى الأمة بإتقاد ألوف من المخنوقات وهي تسكن أحقاد الطبقات أو تقللها.

ألا وإن المخنوقات التي رزق جمال الطبع وحسن الخلق هي احسنة الحقيقية للإنسانية فإن أهل الخير الذين عمنوا بالإحسان منذ كان العالم قد ساعدوا على سعادة البشر أكثر من أرباب العقول السامية الذين تتمثل أسماؤهم في التاريخ فلو كانت ارتقت أخلاقنا منذ أوائل القرن الماضي كما ارتقت علومنا ولو كملت قلوبنا كما كملت قوانا العقلية لكنا منذ زمن خففنا مصائب الناس إلى أدنى ما يمكن. وإن يوماً نتوصل فيه إلى تأليف إنسانية كاملة لا يرى السواد الأعظم من أعضائها بؤس فرد بدون أن

يعينه من تلقاء نفسه نكون قد ظفروا فيه بالسعادة على هذه الأرض وحننا بالسلم
الأزمة الاجتماعية التي تقودنا إلى المهالك.

وعندي أن يعنم تعنيم تربية الأطفال ويتعلم بنات المدارس ما ينبغي للنسرات وأن
يعلمن كيف يغاث البائسون وأرباب الأدواء يطلعن على تاريخ الجنعيات الخيرية
ودور الإحسان وإن عمل الفرد وحده ضعيف في نتاجه وإن لم يضم عنده إلى عمل
غيره فيكون للنسرات أعمال منظمة بنظام الذكاء والتعقل وأن لا يعود البنات على
الاعتقاد بفعل الخير نظرياً بل أن يعنن بأنفسهن الخير في المدارس ويشتركن في إعانة
النسرات.

مدح الثاني

كتب هنري لافدان أحد أعضاء النسرات العنسي الباريزي في جريدة (الأنال) يذم العجنة
ومدح الثاني قال: لو كنت غنياً ما تأخرت عن أن أوصي بمبلغ يخصص ريعه كل
سنتين أو ثلاث جائزة لم يجيد في مدح الثاني وذلك لأننا نرى هذه العجنة آخذة ويا
للأسف بالتناقص فمن اللازم اللازم أن تعاد إليها الثقة الماضية والشرف الدراج لأننا
إذا ظننا على هذه الحال نملك بالعجنة لا محالة.

كننا قضى أحدنا بضعة أشهر في الضواحي وعاد إلى باريز يأخذ العجب من توجهها
في أعمالها ويشعر بالقلق والاضطراب والسرعة والحركة والألام ويدهش من السرعة
الجديدة المنظمة المرسنة في جميع أعمال الحياة. ولا يزال هذا الجنون يزداد على نسبة
مخوفة ويكثر ويزيد سخط القادم من العجنة المتضنة التي تطوح بنا في هذه المهاري

المنوعة التي نكاد لا نراها لسرعة مرورها على بصرنا ولأن وقتنا لا يسمح لنا بإمعان النظر.

نحن نسرع في كل أمر وكننا حركنا جنون السرعة أثبتنا أن الحكمة تقودنا فلا يقنعنا إلا أن نصل قبل أن نسافر وآراؤنا مضطربة تود السباق وتتضارب أولئك السذج الذين يتدافعون لينقوا قبل غيرهم رسائلهم في صندوق البريد وقد كتبوا عليها معجزة وهماً منهم أنهم إذا سارعوا إلى وضعها وكتبوا عليها تلك الكلمة تصل إلى مقصدها قبل غيرها على أن البريد والقدر لا يعطيان على الخاطر ولا يعملان لرضى الناس.

ولكن من يتطال إلى نيل كل شيء لا ينال شيء وماذا تجديه السرعة الفائقة للعادة التي تؤذيه وتضعف قسمة كل ما ينوي القيام به. وبعد فلا يفوتنا أن قاطرة بخارية إذا تركت على سرعتها الفائقة تنتهي بها الحال أن لا تمس قضبان الحديد ولا تكاد تقف على الأرض كأنها في الخلاء وهكذا الحال في الأعمال فإن الرجل بكثرة إسراعه في الذهاب يطير ويعثر بالحوادث ويقع فيها وهكذا شأنه في أوجاعه وأفراحه وكل ما يناله. فهو لا يحفل بتأثراته وشعوره ولا يتوسع فيها بل يمسخها مساً خفيفاً لا يأخذ منها ولا يترك ولا يستفيد الدرس النافع الذي يفيدُه عبرة وحكمة فهو كالريشة بل كالقذيفة الطائشة العمياء تطير على العناية في الفضاء الذي يتقاذفها ويخذ أنفاسها في جميع اخطات التي تقف فيها من الحب والبغض والشر والخير فلا يميز بينها ويخبط فيها إلى أن يناديه داعي الأجل اختوم فلا يجعل له من الوقت متسعاً يتنفس فيه.

ولا يقولن قائل أي أغالي فينا أقول فالحوادث تؤيد قولي: نحن نأكل سراعاً فلا نهضم. قال مونتيني أن الحياة تمضغنا ونحن لا نعضغها بل نبلعها فنخثق أحياناً. نشرب سراعاً

ونرسل الطعام إرسالاً إلى معدنا وما الغذاء إلا عمل مقدس نأثيه ونحن جنوس على طرف المائدة في أغلب الأوقات لا نفتح فانا فتكنم ولا نقول كنناً طيباً ولا سيماً في البيوت فإننا نتغدى ونتعشى بأسرع ما يمكن كأننا في مقصف محطة سكة حديدية والمنادي ينادي لم يبق إلا دقيقتان لسير القطار فنأكل ونحن سكون لا نتكنم وقد استغرقتنا الصفحة قبل أن نستغرقها نفكر فيما يهتنا ونحنم فيه وقد عبست جبهتنا وسدت معدتنا وألقينا الطرف إلى أبعد مما نحن فيه بدون أن نأخذ مقعدنا ونتناول الخواء والفاكهة بل نقوم سراعاً ونهب هماً أو بطناً.

سقى الله أزماناً كان الناس يرتاحون فيها إلى الجنوس على الموائد يتناولون طعامهم وهم يتضاحكون ويتنازحون ويقصون من الأحاديث ما يكون تسليّة لقلوبهم وراحة لنفوسهم.

سقى الله أياماً كان أحدنا يسير وأنفه في الهواء وقد تأبط كتاباً. ما هذا الوقاد في القطار الحديدي ألا مهلك المتزهين في الحقيقة بما خفف عليهم من مؤونة المشي فقد بطنت عادة الزهرة في الشوارع والأزقة وباليدي عصا وبطنت المظلات أو كادت كما بطنت العصي وبطنت عادة السير على الأقدام وعادة الراحة والغذاء على العشب. فأصبحنا والفرد منا إذا جلس على الأرض يصعب عليه النهوض بحيث تخدرات على التوازي أرجلنا ووهنت قوانا. خل عنك تلك المصعدات التي تحملنا من الأدنى إلى الأعلى فقد نزعنا من سوقنا فوقنا على العمل ومن رثائنا ما ينفعها في تصعيد السلام. ولا أكتنكم أنني كننا زرت بيتاً من البيوت القديمة التي لا تزال محافظة على إدراجها وسلامها الرخام أجود في الصعود عليها نشأة وتجنبي لي الحكمة الغريبة التي اهتدى إليها

المهندسون وأنشؤوا تلك الأدراج ليصعد عليها بين الزهور بدون هزة وعنق مهمل. وما أحلى ذلك وأنفعه. لا جرم أنه يعينك عنى أن تجمع فكرك وحواسك قبل أن تفرع جرس دارك أو دار من تزوره وتختلف إليه.

ولم يقف الأمر في سرعتنا عند هذا الحد بل تعداها إلى كلامنا فصرنا نتكلم بإيجاز ولا إيجاز صغار الزنوج في كلامهم. وأمسينا نسرع في نومنا ونقوم مدعورين ونلحم والضغط آخذ منا فنحن في المساء كالصباح لا نحسن الاضطجاع عنى سريرنا ولا نقرأ والقلم بيدنا نشير إلى ما يجدر نقله واقتباسه ولا نفكر الأفكار النافعة بل نسرع في الراحة أي سرعة.

وإذا رجعنا البصر في الأمور العقلية فإنك تجدنا نفاخر بما يعرض لأفكارنا كل يوم بل كل ساعة من التنوع فقد غدا الكاتب لا يعيد نظره فيما يكتب فنحن مضطرون إلى أن نجيد فيما نكتب كل يوم وكل من لا يؤلف روايتين في السنة أو ثلاث روايات مضحكة يعد مقلاً جاف القريحة. الكتب اليوم لا تؤلف بل تتساقط كما يتساقط الجوز. والغاية أن نكتب ولا عبرة بما نكتب ونتأجد. ومهما كان من اعتبار الإكثار والإخصاب فمن العقل أن نتحرز ونأخذ من عنان الأقلام مخافة أن نمسي لنحال كالأهم الضعيفة التي تأتي بالأولاد ضعافاً محتقرين. وما كل عمل جميل عظيم إلا ابن التأمل والصبر والجلادة ولطالما كان للوقت تأثير في تجويد الأعمال.

فالوقت جائزة تنال بأسرها والجمال أعظم العوامل فيها. فكما أن الوقت يوجد الجمال وينسيه ويقيه العوادي وينحو به مناحي الكمال فكذلك الخراب لا تكون خراب إن لم يأت عليها الزمن ويمتد لها إلى ما شاء الله والأيام والشهور لا تكفيها بل

يقتضي لها عدد لا يحصى من السنين لتستحق أن تذكر بين الخرائب وأن تخفق فيها الرياح ويثار عليها الغبار ويعبث بها الهواء ويتزل عليها الماء والشمس وينبت فيها الطحلب والسندر المعرش وكل ذلك من عوامل البطء والجلادة.

ثم أن الناس أصبحوا يريدون الاستمتاع والانتفاع في الحال وإن يكون لهم أكثر من الدخل قبل أن يضعوا رأس المال وأن يجنوا بعد عشر دقائق من البذر. نقرأ مسرعين هذا إذا تظاهروا بأننا نقرأ ونلقي نظرة على العنوان والفهرس ونقلب الطرف في بعض صفحات من الكتاب وهذا كل ما نقرؤه أغرقنا في حب العجينة حتى صرنا لا نقطع أوراق كتابنا بيدنا بل نوعز إلى الخادم أو كاتب سرنا أن يقطعها لنا.

أنا لا أجهل ما يحيني به القارئ فيقول بأن الكتب كثرت وكذلك الجرائد والملاذ والسخرات والواجبات وإن الحياة قصيرة وإن الحال تقتضي بأن نستمرط الثلاث أو الأربع لقم في لقمة ولكن الحقيقة ليست كذلك فإن الحياة كننا تضاعفت وكثرت بحيث تجزأت كان علينا أن نقتصرها ونضم شملها. فها إنه تصدر كل صباح أربعون جريدة وهذا من جملة الأسباب الداعية إلى أن نزهد في قراءتها وكل أسبوع يصدر خمسون كتاباً ونحن لا نعرف منها إلا عشرها نعرفه أحسن معرفة فإن المفكرين أصبحوا يفكرون بسرعة فقدوا خاصية التفكير.

أصبح الواحد يحب ويغض سريعاً ويسرع في التصديق كما يسرع في الجحود ويعطي ويمنع كذلك غير مكترث بنصائح الليل ومواعظ النهار. وأخذ الغضب يسارع إلينا ونحن لا نعرف كيف نغضب وعننى من نصب جام غضبنا. وليت شعري من يحتفل بالحب البطيء الصادر من أعماق القلب المتأني؟ ومن يحبكه أحسن حياكة وأمتنها

ويبالغ في أحكامها خيطاً خيطاً باليد لا بآلة؟ ومتى نرضى الوقوف والتريث لنذوق
 طعم المواقف ونحني برسيم السعادة ونجنس هنيئات في الواحات؟
 الحياة أقصر طريق يسلك من نقطة إلى أخرى ونحن نريد أن تقتصرها أيضاً؟
 مطبوعات ومخطوطات

غياث الأمم في التياث الظلم

تصنيف إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى سنة
478 وضعه في الإمامة وإن قدمه - كتب سنة أربع وأربعين وسبعمائة - ليحسننا على
 ذكر موضوعه. ومعنوم أن هذا المبحث خاتض فيه الخائضون ومنهم الإمام الماوردي.
 وكتاب الجويني هذا في مثل موضوعه وقد حمل فيه على الماوردي حملة غريبة واستفدنا
 منه ما كنا نعرفه عن حرية عصر المأمون قال إمام الحرمين: وقد اتفق لناأمون وكان
 من أنجد الخلفاء وأقصدهم خطة ظهرت هفوته فيها وعسر على من بعده تلافيها فإنه
 رأى تقرير كل ذي مذهب على رأيه فنبغ النابغون وزاغ الزائغون وتفاقم الأمر
 وتطرق خطباً هائلاً وانتهى زللهم وخطئه إلى أن سوغ للنعطلنة أن يظهر آراؤهم
 ورتب مترجمين ليوردوا كتب الأوائل إلى لسان العرب وهلم جراً إلى أحوال يقصر
 الوصف عن أدناها ولو قلت أنه مطالب بمغبات البدع والضلالات في الموقف الأهل
 في العرصات لم أكن مجازفاً.

قال فيه: الحمد لله القيوم الحي الذي بإرادته كل رشد وغي ومحشيته كل نشر وطي
 كل بيان في وصف جلاله وحصر وعي بين عيني كل قيصر وكبي من قهر تسخير
 وسم وكبي فاطر السموات والأرض جعل لكم أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً